

تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.comمقبل على تغيّرات جذرية سياسية واقتصادية واجتماعية
عالم ما بعد كورونا... جديد ومختلف

العالم الرازح تحت وطأة وباء كورونا مقبل على تغييرات اقتصادية واجتماعية ستكون جذرية كلما طال امد هذه الازمة العالمية. ثمة انطباع يترسخ ان ما بعد كورونا عالم جديد في معادلاته الاقتصادية والمالية والسياسية. فزعامتة العالمية التي كانت اميركية احادية، بدأت تتحول ثنائية وتلوح في الافق علامات دخول الصين في السباق على زعامة العالم



اوروبا ستغير والاتحاد الاوروي يواجه اخطر ازمة منذ قيامه.

الان ان في مرحلة او حقبة ما بعد كورونا ستؤدي الى وقوف بلدان التكتل امام نوع مختلف من التحديات. تحديات من شأنها ان تهز دعائم الاتحاد ووحدته، وسط غياب مظاهر التضامن بين دوله وانكفائها ضمن حدودها الداخلية، وتجلي حدود السياسات النيوليبرالية. ربما يتبين ان الاتحاد الذي استطاع تجاوز تداعيات بريكست وازمة اللاجئين والازمة الاقتصادية العالمية عام 2008، بات اكثر هشاشة وضعفا من ذي قبل، بعدما اعاد اختبار انتشار الوباء الاعتبار الى الدولة القومية: الملائد الاخير للشعوب في وقت الازمات الكبرى.

لم يكن رد الولايات المتحدة على الازمة افضل منه في اوروبا. فقد صار واضحا للجميع تقريبا ان واشنطن اساءت في ردها الاول، وان المؤسسات الرسمية من البيت الابيض ووزارة الامن الداخلي الى مركز تجنب الوبئة والسيطرة عليها قوضت الثقة في قدرة السياسات الاميركية وكفائيتها. فمع ظهور بعض الاصابات على اراضيها واخر شباط، كانت اميركا بطيئة للغاية في تتبع العدوى، وتعرقلت جهود المعامل في توفير اختبارات كافية، وسعى الرئيس اميريكي دونالد ترامب الى التقليل من مدى انتشار الفيروس، لكن تغريداته ساهمت في توسيع رقعة الاربك والغموض. واطهر كل من القطاعين الخاص والعام عدم جهوزهما لانتاج

” يواجه العالم وضعاً غير مسبوق، مع توقف الزمن ودورة الحياة

واختبارات حيال تماسكه وقدرته على المضي قدما في هذه التجربة الاندماجية. وقد برزت اختلافات بين الدول الاعضاء على مستويات امنية وسياسية واقتصادية تتعلق بالحدود والمهاجرين وفضاء الشينغن ومنطقة اليورو. صعود اليمين المتطرف نتيجة تدفقات المهاجرين، ادى الى صعود القوميين المشككين في اوروبا، كما حصل في ايطاليا حيث برز اليميني المتطرف ماتيو سالفيني، وفي فرنسا حيث تقدمت الجبهة الوطنية بزعامة مارين لوبن، وفي المانيا حيث سعد حزب المانيا البديل.

ازمة كورونا تشكل التحدي والاختبار الاقصى للاتحاد الاوروي بعدما اظهرت طريقة التصدي لهذا الوباء انكفاء كل دولة على ذاتها وتمسكها بحدودها وعدم الاستعداد لدعم غيرها، وسط غياب واضح للتضامن الاوروي. يمكن القول من

والطواقم الطبية لمساعدة الايطاليين والاسبان، فيما تنتظر فرنسا دورها في المساعدات، في عالم جديد يولد فيه من رحم كورونا محور اوراسيا. جرت محاولة اوروبية لتدارك الاخطاء واستلحاق الازمة والحد من تداعياتها على مستقبل الاتحاد. عقدت قمة اوروبية استثنائية عن بعد لوضع خطة طموحة من اجل مواجهة ازمة كورونا وتدابيرها الاقتصادية. لكن القمة شهدت مناقشات حامية وانقسامات اثاره احد الحلول الجديدة: احداث اداة لاقتراض مشترك للدول الـ 19 الاعضاء في مجموعة اليورو تسمى سندات كورونا، وهو ما دعت اليه ايطاليا واسبانيا وفرنسا، اضافة الى ست دول اخرى في منطقة اليورو، وهذا ما تطالب به منذ وقت طويل الدول الرازحة تحت ديون في جنوب اوروبا على غرار ايطاليا. لكن دول الشمال ترفضه وتدعو في المقابل الى اللجوء لصندوق انقاذ منطقة اليورو (آلية الاستقرار الاوروبية) الذي قد يمنح الدول المتعثرة خطا ائتمانيا.

بعد القمة الاوروبية الافتراضية، قال رئيس البرلمان الاوروي دافيد ساسولي منتقدا النتائج المخيبة للقمة: ان قصر نظر بعض الحكومات لا يقل خطرا عن الوباء. واضح ان هناك خيبة، وواضح ان اوروبا تتغير وستتغير اكثر، وان الاتحاد الاوروي يواجه اخطر ازمة منذ قيامه، ويواجه جديا خطر التفكك، بعدما واجه في السنوات الاخيرة صعوبات

من الناحية السياسية والشعبية (الحكومات والاحزاب والنخب الفكرية والرأي العام) هناك، نوع من الخيبة، خصوصا في الدول المصابة، لان فكرة الاتحاد الاوروي التي نشأ على اساسها هي خلق حالة من التضامن والتعاقد بين دوله، لاسيما في اوقات الازمات الكبرى، لكن ما جرى مع دول عدة، خصوصا ايطاليا، رسم علامة استفهام جذرية بعدما سقط مفهوم التضامن الاوروي في امتحان كورونا، وبعدها اظهرت الازمة الطارئة ان الاليات اللازمة لتنفيذ الاتفاقات الاوروبية مصابة بعطب شديد وغير كافية لمواجهة التحديات. لناخذ ايطاليا نموذجا. في هذه الدولة شعور عميق من المرارة والخبية. ايطاليون يحرقون علم الاتحاد الاوروي. رئيس البرلمان يطوي علم الاتحاد ويضعه في درج مكتبه. رئيس الوزراء جوزيبي كونتي يقول: لقد طلبنا المساعدة من الاوروبيين، لكن الجواب لم يكن فقط اغلاق الحدود، بل الترويج بأن المشكلة ايطالية وان الحل يتوجب ان يكون ايطاليا ايضا.

التجربة الايطالية كشفت ان دولا عدة قامت باغلاق حدودها واعادت فرض حدود الشينغن، وهو امر يخالف الاتفاقات الاوروبية. وكشفت ايضا ان احدا لم يبادر الى انقاذ ايطاليا، وان المفوضية الاوروبية تأخرت كثيرا في تحركها. فكانت النتيجة ان ايطاليا لم تعد تراهن على الاتحاد الاوروي، وكانت المفاجأة ان المساعدات الى ايطاليا جاءت من الصين وروسيا. من الواضح الان ان هناك طرفين مستفيدين من وباء كورونا وفوضى اوروبا: طرف داخلي هو الاحزاب والتيارات اليمينية المتطرفة والمتشددة التي ستروج من جديد لعدم جدوى الاتحاد وتوسعي خصوصا في ايطاليا والمانيا وفرنسا والمجر الى انفراط عقده، وطرف خارجي يتمثل بروسيا والصين. هاتان الدولتان اللتان ارسلتا المساعدات

الى الصين، اي من عولمة متمحورة حول اميركا الى عولمة تتمحور حول الصين. - تقوية دور الدولة ومفهوم الحكومة المركزية وتعزيز قبضة الحكومات. - تعزيز القومية ومناهضة العولمة، ومزيد من الانكفاء على الداخل وسياسة الاكتفاء الذاتي، وتراجع القضايا ذات الاهتمام المشترك، وتراجع الاهتمام بالقضايا الخارجية مثل التغير المناخي. - عالم اقل انفتاحا واقل حرية، اكثر فقرا واكثر انغلاقا.

- النظام العالمي يتعرض لضغط كبير وعدم استقرار نتيجة التوتر والخلافات بين الدول وتقلص القدرة الانتاجية للاقتصاد العالمي. نظام عالمي جديد يحمل ضمانات لحماية الدولة ومصالحها وتسوده تغيّرات داخل الدول وفي ما بينها. في كل هذه التقديرات يبرز عنوان رئيسي وبخط عريض هو الاتحاد الاوروي، حيث تتقاطع مختلف الآراء والتوقعات عند خطر التفكك الذي يواجهه الاتحاد الاوروي بعد فشله في مواجهة الازمة وانكشاف حالة عدم التضامن بين دوله. فاذا لم يستطع الاتحاد الاوروي حماية مواطنيه الـ 500 مليون، فان الحكومات الوطنية (عاصمة الاتحاد).

في الواقع، يتأهب الاتحاد الاوروي للدخول في ركود شديد وبطالة متزايدة وتراجع حاد، وتواجه الشركات صعوبات وتحديات كثيرة. الانطباع السائد في اوروبا انه لن يبقى هناك شيء كما كان من قبل، فاوروبا ستتغير والعالم ايضا. وبالنظر الى الدرجة العالية من حالة عدم اليقين المحيطة بأي تقدير للتأثيرات الاقتصادية للوباء والتطور السريع للتدابير المالية للاستجابة للوضع، فان الدول الاعضاء تواجه صعوبات في تقديم توقعات اقتصادية ومالية ذات مصداقية.

التكتلات الاقليمية، واولها الاتحاد الاوروي، قد تشهد تفككا في ظل انكفاء الدول على ذاتها ومصالحها ومؤسساتها الوطنية، بعدما اظهرت المؤسسات المركزية قصورا وفشلا في احتواء ازمة كورونا وقبلها ازمات الهجرة والامن والحدود. يواجه العالم وضعاً استثنائيا خطيرا ومخيفا لم يسبق ان واجه مثله في التاريخ الحديث، مع تفشي فيروس كورونا الذي كان عابرا للحدود ولم يوفر بلدا او يميز بين دول واعراق واديان. وقد صنّف من منظمة الصحة العالمية وباء عالميا وعدوا للبشرية، ناشرا للقلق والخوف والهلع في المجتمعات والشوارع، وفي الشركات والاسواق المالية والاقتصادية.

الزمن توقف ومعه دورة الحياة. المدن الكبرى المفعمة بالحركة والحيوية تحولت مدن اشباح. الدول الكبرى المتمتعة بقدرات وامكانيات هائلة باغتتها هذا التحدي وكشف عن قصور في نظامها الصحي، وعن عدم جهوز لمواجهة تداعياتها المالية والاقتصادية الهائلة. كل الحركة العالمية والمؤتمرات والانشطة على انواعها توقفت وارجئت حتى اشعار آخر. المشهد في العالم انقلب رأسا على عقب، وعالم ما بعد كورونا سيكون مختلفا عن عالم ما قبله، وسيشهد تغيّرات في الانظمة والاوزاع الداخلية، وفي العلاقات والسياسات الدولية، وفي الاوزاع الاقتصادية والاجتماعية التي ستشهد انهيارات وسيناريوهات مؤلمة.

هذا الحدث العالمي يعادل حربا عالمية ثالثة، وسينظر اليه كحد فاصل بين مرحلتين وعالمين. في التقديرات الاولى لعالم ما بعد كورونا: - تغيير كبير في النظام العالمي وتوازن القوى. - تحول في نظام العولمة الاقتصادية والتجارة الدولية. - انتقال القوة والتأثير عالميا من الغرب الى الشرق. - تحول دفعة قيادة العالم من الولايات المتحدة

والمانيا (اضافة الى جهود تركية وقطرية) من اجل دفع المفاوضات قدما وجعل اي صفقة تبادل، ولو جزئيا، مدخلا الى هدنة طويلة الامد.

4- حصول اختراق في الازمة السياسية -الحكومية جديدة، وثلاثة انتخابات عامة لم تحسم ميزان القوى السياسي بشكل واضح. هذا الاختراق تمثل في تشكيل حكومة انتقالية تجمع بين بنيامين نتنياهو وبينني غانتس لمواجهة الازمة الطارئة بفعل كورونا وانعكاساتها السلبية والكارثية على الاقتصاد الاسرائيلي. وكانت النتيجة ان نتنياهو نجح في الافلات من المحاكمة القضائية ومن الهزيمة السياسية، وفي فرط عقد حزب الجنازات برئاسة غانتس وضرب مصداقيته وشعبيته، الى حد ان الليكود صار مستعدا للتهديد بانتخابات رابعة وبات جاهزا للفوز فيها والقضاء على حزب ازرق - ابيض. اضافة الى فرض شروطه الحكومية لجهة رئاسة الحكومة وتوزيع الحقائق، نجح نتنياهو في فرض شروطه السياسية واولها تطبيق السيادة الاسرائيلية على المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية، وضم منطقتي غور الاردن وشمال البحر الميت الى حدود اسرائيل، لان الرئيس ترامب المنهمك بالالزامات الصحية والاقتصادية، سيكون مشغولا في النصف الثاني من هذا العام بالانتخابات الرئاسية، ولن يقدم خلالها على خطوات درامية بخصوص الشرق الاوسط.

اذا كان الشرق الاوسط ينتظر الانتخابات الاميركية، فان معركة الانتخابات الرئاسية الاميركية التي صارت محسومة بين دونالد ترامب وجو بادين شهدت تحولا في مناخها ومسارها، بعدما دخل وباء كورونا على المشهد والمعادلة في البازار الانتخابي وفرض شروط اللعبة. من جهة ضيق نطاق المسائل التي يمكن لبايدن والديموقراطيين استغلالها من اجل القاء الضوء على التباينات مع ترامب، ما يعني تهميشا موقفا لاجندة واسعة تتضمن مسائل ملحة مثل تغير المناخ والسيطرة على السلاح. من جهة ثانية، فرض على ترامب اعباء جديدة وحمله نتائج وانتقادات قاسية بسبب سوء اداء ادارته خلال ازمة كورونا، وخفض من حظوظه وفرصه للفوز وافاق اعادة انتخابه مع ارتفاع حصيلة القتلى والتأثير المدمر على الاقتصاد.



البؤر الساخنة في المنطقة العربية الى التبريد والازمات الداخلية الى انكفاء.

” طرفان مستفيدين من فوضى اوروبا: اليمين المتطرف وروسيا - الصين “

حدة الضغوط الداخلية باتجاه وضع حد للفراق الحكومي، كانت القوات المؤثرتان في العراق، ايران والولايات المتحدة، تنكفئان جزئيا عن الملف العراقي وتنهكمان في مواجهة وباء كورونا ومشاكلهما الداخلية. كانت النتيجة انه للمرة الاولى منذ استقالة عبد المهدي يحصل توافق سياسي على رئيس جديد للحكومة هو مصطفى الكاظمي، ويحصل اجماع غير مسبوق على رئيس جهاز المخابرات، بعدما فشلت محاولتان لتشكيل حكومة جديدة منذ بداية عام 2020.

3- تحريك ملف المفاوضات بين حماس واسرائيل في شأن تبادل الاسرى. هذا الملف شهد جمودا كبيرا بسبب الموقف الاسرائيلي المتشدد والفراق الحكومي. لكن المخاوف من انتشار فيروس كورونا بين الاسرى الفلسطينيين غيرت المعادلة والصورة. من المفترض ان تدخل دول اولها مصر

في ظل انعدام الخدمات والبنى التحتية الصحية والاستشفائية. والثاني هو ان المبادرة الى وقف النار صدرت عن المملكة السعودية. ومع انها تتم لدواع انسانية وصحية، الا انها تنطوي على مؤشر سياسي مفاده ان السعودية بانت مستعدة لوقف الحرب والانتقال الى مرحلة الحل السياسي، ذلك انها تواجه جملة ظروف وعوامل ضاغطة لا تقتصر على حرب اليمن وفاتورتها الباهظة، بل تشمل ايضا حرب اسعار النفط وانعكاساتها على اقتصادها وموازنتها المالية.

2- سلوك الازمة السياسية - الحكومية في العراق طريق الحل والانفراج بعد اكثر من ستة اشهر من الاضطرابات الشعبية في الشارع، وتآزم اقتصادي، وتعذر تشكيل حكومة جديدة وعدم التوافق على بديل عادل عبد المهدي، كل ذلك في ظل احتدام الصراع الاميركي - الايراني على ارض العراق واتخاذ ابعادا واشكالا سياسية وامنية وعسكرية. ما حصل في الايام الاخيرة، تحت وطأة ازمة كورونا وما كان لها من تأثيرات سلبية على الاوضاع الاقتصادية والصحية والاجتماعية، وتحت وطأة التراجع الحاصل في المؤشرات الاقتصادية، لاسيما بعد انهيار اسعار النفط، ان هامش المناورة ضاق كثيرا عند كل الاطراف وصارت الحكومة حاجة ملحة ومصالحة عامة للاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والامن. وفي وقت ارتفعت

في منطقة الشرق الاوسط، بدأت مرحلة ما بعد كورونا تظهر ملامحها من خلال تغيرات وتبدلات في المشهد السياسي، في قواعد اللعبة، في موازين القوى، في خارطة العلاقات ونوعية الخيارات، وايضا في الاوضاع الداخلية لكل دولة فرض عليها مراجعة اوضاعها وسياساتها واولوياتها.

عملية خلط اوراق كبيرة حصلت وستنتج منها تغييرات وتحولات ملحوظة واحيانا جذرية بدأت طلائعها وبوادرها في الظهور تباعا. هذه لائحة بابرز المتغيرات الناجمة عن عاصفة كورونا العالمية، وما ترتب من مضاعفات ونتائج:

1- اعلان وقف للنار في اليمن، ما يشكل اكثر فرصة جدية وسانحة لوقف الحرب التي انطلقت منذ 6 سنوات، واطلاق مفاوضات وعملية الحل السياسي. صحيح انها ليست المرة الاولى التي يتم فيها التوصل الى وقف لاطلاق النار والى هدن عسكرية سرعان ما كانت تنهار، لكن هذه المرة تتميز الدعوة الى وقف النار بأمرين: الاول هو انها جاءت تحت وطأة ازمة كورونا التي تفرض وقفا قسريا للعمليات العسكرية، بعدما ضربت هذه الازمة دول الخليج وبدأت تصل حديثا الى داخل اليمن، حيث يكبر خطر تفشي الفيروس

فمع بدء تفشي الوباء الاخيرة، وقفت على الحياد وامتنعت عن الاضطلاع باي دور قيادي، وحتى انها حظرت السفر الى اوروبا من دون اي تنسيق مع الحكومات الاوروبية. من هذا المنطلق، قد لا تجد دولا كثيرة تنضم اليها في حال قررت حشد رد دولي على الفيروس.

في المقابل، اطلقت الصين حملة لدعوة عشرات الدول ومئات المسؤولين، غالبا عبر مؤتمرات عبر الهاتف، لتبادل المعلومات عن الوباء ومشاركة تجربة الصين احتوائه. عمليا، تكاد كل الاخبار على الصفحات الاولى للاجهزة الدعائية الصينية الموجهة الى الخارج تتحدث عن جهود الصين لمساعدة الدول المتضررة مع التأكيد على تفوق نهج بكين.

حتى الان، تميل الكفة الى الصين في الرد الدولي على الازمة. لكن النجاح النهائي لمسعى الصين يبقى رهنا بما سيحصل في واشنطن بقدر ما سيحصل في بكين. ففي الازمة الراهنة، لا تزال واشنطن قادرة على قلب المسار اذا اثبتت قدرتها على القيام بما هو متوقع من دولة في حجمها الاقتصادي والسياسي، اي ادارة الازمة في بلادها وتنسيق الرد الدولي حيالها.

الاجتهادات وتوزيعها. على الصعيد الدولي، زاد الوباء رغبة ترامب في التحرك منفردا، وكشف عجز اميركا عن تزعم اي رد فعل دولي.

فيما تعثرت واشنطن، نزلت بكين بتقلها للافادة من الفجوات التي خلفتها الاخطاء الاميركية، وتحركت على اكثر من جبهة لاحتواء الوباء في العالم، بعدما تمكنت من ترويضه على اراضيها، مرسله فرقا طبية الى الدول الاكثر تضررا وادوات طبية الى دول اخرى. بكين تدرك انه اذا تمكنت من تزعم جهد دولي، واذا اعتبرت واشنطن غير قادرة او غير راغبة في القيام بذلك، يمكن لهذا التصور ان يغير جذريا موقع اميركا في السياسة العالمية والسباق على زعامة القرن الحادي والعشرين. ليست الزعامة العالمية مسألة معدات طبية وادوية فحسب، وانما تشمل القدرة على قيادة جهود دولية. فخلال ازمة ايبولا عام 2014، اضطلعت الولايات المتحدة بدور مماثل، وكذلك فعلت خلال الازمة المالية لعام 2008، عندما حشدت دولا لمنع اضطراب اقتصادي عالمي. لكن واشنطن تنازلت قبل ازمة كورونا عن دورها كزعيمة للعالم، وخفضت الادارة الحالية دعمها للمنظمات الدولية كمنظمة الصحة العالمية.



الصين تعزز تقدمها في سباق الزعامة العالمية.